الطريقة السمعية الشفهية في تعليم اللغة الثانية: دراسة تحليلية

محمد نجم الهدى
قسم علوم الحديث والدراسات الإسلامية
الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، بنغلاديش.

ملخص البحث
من أهم طرق تدريس اللغة الثانية في العصر الراهن الطريقة السمعية الشفهية-Audio) (lingual method، التي جاءت رد فعل للطريقة التقليدية والطريقة المباشرة معا. هذه الطريقة استخدمت أولا في تعليم الجيوش الأمريكيين اللغات الأجنبية لإرسالهم للاتصال بالشعوب الأخرى، وهذا كان بعد الحرب العالمي الثاني. الطريقة السمعية الشفهية تعلم اللغة بدون ترجمة إلى اللغة الأم وتقدم قواعد اللغة بطريقة غير مباشرة مع استخدام الأدوات اللغوية المعاصرة. هذه الدراسة تعرض الطريقة السمعية الشفهية بشكل مكثف حتى يستفيد معلم اللغة الثانية في تنفيذها. من المعلوم لدى الباحثين بأن لا توجد هناك طريقة نموذجية لتدريس اللغة الثانية إذ لكل طريقة مزاياها وعيوبها. مع ذلك هذا الأسلوب من أسهل الطرق في تعليم اللغة الثانية وأيضا هذه الطريقة لا تستخدم اللغة الوسيطة أو الترجمة. ومن أغراض هذه الدراسة تقديم النموذج الكامل للطريقة وتشجيع مدرسي اللغة الثانية إلى استخدامها في تدريسهم. تم إنجاز الدراسة اعتمادا على المنهجين الوصفي والتحليلي وتم جمع المعلومات عن طريق الدراسة المكتبية. وقد أنهيت النقاش بخاتمة فيها بعض النتائج التي وصلت إليها هذه الدراسة.

الكلمات الدالة: اللغة الثانية، المواد التعليمية، الاستماع ، مهارة، السمعية الشفهية.

دراسات الجامعة الإسلامية العالمية
المجلد.14، ديسمبر 2018م
ص. 7-26
IIUC ©
ISSN 1813-7733

مشكلة البحث

من المعلوم لدينا أن طرق التدريس المستخدمة في تعليم اللغة الثانية كثيرة ومتنوعة. ونرى بالأسف الشديد أن متعلم اللغة يدرسها سنوات عديدة، لكن لا يستطيع أن يتكلم بالطلاقة بعد نهاية دراسته. يقول علماء اللغة هذه المشكلة تتمحور حول طرق التدريس المناسبة. مدرسو اللغة يستخدمون الطريقة التقليدية العادية. فهي تحتاج إلى دراسة جديدة لتقديم الطريقة العلمية المعاصرة الناجحة في تعليم اللغة الثانية.

الطرق المتداولة في تعليم اللغة الثانية

الطريقة هي "عبارة عن خطة عامة لاختيار وتنظيم وعرض المادة اللغوية، على أن تقوم هذه الخطة بحيث لا تتعارض مع المدخل الذي تصدر عنه وبحيث يكون واضحا أن المدخل شيء مبدئي و الطريقة شيء إجرائي"[1].

وطريقة التعليم هي الخطة العامة التي يستعين بها المعلم لتنفيذ الأهداف المنشودة من تعلم اللغة. هناك-اليوم-كثير من الطرائق، التي تعلم بها اللغات الأجنبية، ولكن لا يوجد هناك طريقة مثالية، تناسب جميع الدارسين والأهداف والبيئات، إذ لكل طريقة مزايا، وأوجه قصور. فالمدرس يختار ما يناسب الموقف التعليمي. لقد مرت هذه الطرائق في تطورها التاريخي. ومن العلماء الذين كان لأفكارهم دور في ابداع الطرائق البديلة، الربي الشيكي جون آموس كومينيوس، والفيلسوف الإنجليزي جون لوك وأصحابهم[2]. ومن أهم طرق تعليم اللغات الثانية ما يلي:

أ- طريقة القواعد والترجمة: The Grammar Translation Method
ب- الطريقة السمعية الشفهية :The Audio-lingual Method
ت- الطريقة التواصلية: The Communicative Method
ث- طريقة القراءة: The Reading Method
ج- الطريقة السمعية البصرية :The Audio-visual Method
ح- طريقة الاستجابة الجسدية :The Body-response Method
خ- الطريقة الصامتة :The Silent Method
د- الطريقة الطبيعية :The Natural Method

مفهوم الطريقة السمعية الشفهية:

إن للطريقة السمعية الشفهية مسميات أخرى مثل الطريقة اللغوية والطريقة الشفهية. "هذه الطريقة تنظر إلي اللغة على أنها مجموعة من الرموز الصوتية، والأنظمة الصرفية و النحوية، التي تربطها علاقات بَنيويَّة شكلية، يتعارف عليها الناطقون باللغة، لتحقيق الاتصال فيما بينهم. تستخدم هذه الطريقة في تدريس المفردات لتدريب الإستماع التلاميذ أولا بمشاهدة الأفلام أو القصة مثالا ثم يحدد المفردات الجديدة بالنطق تحديدا صارما، ثم يأمر المدرس منهم أن يتركب المفردات الجديدة جملة مفيدة. يلزم المدرس في هذه الطريقة أن تكون له المهنة والمهارات في إلقاء مادة الكلام أو المحادثة وأن يصبروا، لا سيما في تدريب التلاميذ الذى ليس له زاد عن اللغة العربية ولو كان قليلا"[3].

لقد سيطرت هذه الطريقة على ميدان تعليم اللغات االثانية فترة طويلة، ولاقت خلال هذه الفترة رواجا منقطع النظير وقبولا لدى المعلمين الذين لم يجدوا مشكلة في فهم فلسفتها وأهدافها ولم يواجهوا صعوبات في تنفيذ خطواتها

وأنشطتها. وقد بلغ الإعجاب بهذه الطريقة ذروته في نهاية الستينيات من القرن العشرين حتى أطلق عليها الطريقة العلمية (Scientific method) لتعليم اللغة الثانية.

نشأة الطريقة السمعية الشفهية

هذه الطريقة نشأت في خلفية فشل الطرق الأخرى في مجال تعليم اللغة الثانية. يقول دكتور عمر الصديق "ظهرت هذه الطريقة، على النقيض من الطرق الأخرى، في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك تلبية لحاجات الجيش الأمريكي في النصف الأول من القرن الماضي للاتصال بالشعوب التي يتعاملون معها أصدقاء كانوا أم أعداء. يعود الفضل في ابتكار مصطلح *السمعية الشفهية* إلى نلسون بروكس سنة 1964م"[4].

وهناك سببان لهما درو مباشر في نشأة هذه الطريقة، أولهما: "قيام عدد من علماء النفس واللغويين بدراسة اللغات الهندية غير المكتوبة في الولايات المتحدة. وثاني هذين العاملين: هو تطور وسائل الاتصال بين الشعوب مما قرب المسافات بين أفرادها، وخلق الحاجة إلى تعلم اللغات الأجنبية؛ ليس لاستخدمها في القراءة فقط ، وإنما أيضاً لاستخدامها في الاتصال المباشر بين الأفراد بعضهم وبعض"[5]. وبالإضافة إلى العاملين المذكورين هناك عوامل أخرى غير مباشرة، أسهمت في بداية هذه الطريقة منها: "الحاجة إلى الاتصال الشفهي المباشر بين الأمم، وعجز الطرائق السابقة عن تحقيق المطالب الاتصالية بالمفاهيم الجديدة ، والتطور في الدراسات اللغوية النفسية في منتصف القرن العشرين، الذي انتهى بالتكامل بين النظرية البِنْيويَّة الوصفية في علم اللغة والنظرية الحسية السلوكية في علم النفس. وكذلك التطورات التي حدثت في تقنيات التعليم، وبخاصة في معامل اللغات وأدوات التسجيل المسموعة والمرئية"[6].

أهداف الطريقة وملامحها

من الممكن أن نوجز أهداف وملامح هذه الطريقة فيما يلي:

1. حسب هذه الطريقة أن اللغة مجموعة من العادات السلوكية، يحصلها الطالب من بيئة مثلما يحصل العادات السلوكية الأخرى.

2. يقول الخولي: "يتبع المدرس في تعليم المهارات اللغوية الترتيب الطبيعي لاكتساب الأفراد لها في لغته الأم. يكتسب الإنسان لغته الأولى، كما نعلم، عن طريق الاستماع إليها أولا. ثم تقليد المحيطين به في الكلام، فينطق بعض كلماتها، ثم يقرأ هذه الكلمات، وأخيرا يكتبها. ومن ثم نجد أن ترتيب المهارات الأربع في هذه الطريقة يبدأ بالاستماع ثم الكلام وتأتي بعدهما القراءة وأخيرا الكتابة"[7].

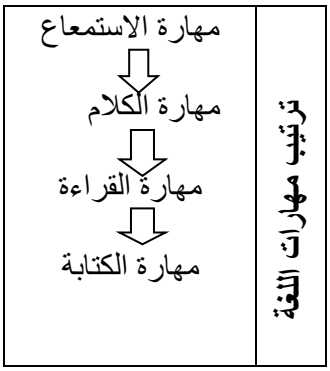

3. إن اللغة ليست فقط أشكال الفن، بل هي جزء من الحياة التي يعيشها الإنسان.
4. توكد الطريقة السمعية الشفهية على تعليم اللغة، لا تقديم المعلومات عنها.
5. اللغة تختلف بعضها بعضا، فكل لغة مستقلة بأنظمتها وعناصرها، ويرجى تحليلها تعلمها وتعليمها وفقا لهذه الأصل، بعيدا عن التصورات المسبقة عن اللغات الأخرى، وبخاصة لغة المتعلمين الأصلية. وهذا مبدأ بنيوي قديم، اقترحه أبو البنيوية الأمريكية ليونارد بلومفيلد منذ ستين عاما حين قال:

"The student of an entirely new language will have to throw off all his prepossessions about language and start with a clean state"[8].

6. تقول هذه الطريقة "أن اللغة مجموعة من الرموز الصوتية التي يتعارف أفراد المجتمع على دلالتها بقصد تحقيق الاتصال بين بعضهم البعض، من هنا فإن الهدف الأساسي في تعليم العربية هو تمكين غير الناطقين بالعربية من الاتصال الفعال بالناطقين بها. بما يتطلبه هذا الاتصال من مهارات مختلفة وبما يدور حوله من مواقف"[9].

النظرية والمدخل: ومن أبرز نظريات هذه الطريقة ما يلي:

1. أن اللغة حديث و ليست كتابة. أما الكتابة فهي تمثيل جزئي للكلام.
2. الترجمة تضر تعلم اللغة الثانية، فيجب الابتعاد من الترجمة فيه.

3. إن ما يحتاج إليه المتعلم هو تعلم اللغة الأجنبية، وليس التعلم عنها.
4. أفضل معلم للغة الثانية هو الناطق الأصلي.

وظائف كل من المدرس والمتعلم والمواد التعليمية:

وظائف المدرس

وظائف المدرس محدودة ومحكومة بالمواد والكتب المقررة، فلا يستطيع المدرس التصرف فيها بالحذف أو الزيادة أو التقديم أو التأخير. حسب هذه الطريقة للمدرس ثلاث وظائف رئيسية، هي:

الأول : عرض النموذج الصحيح للدارسين من خلال النطق السليم والاستخدام المناسب للغة.
الثاني : قيادة الطالب وتنظيم نشاطاتهم في قاعة المحاضرة.
الثالث: تصحيح أخطاء الطلاب وتقديم أدائهم أولا بأول.

وظائف الطالب

أن الطالب أضعف عنصر في العملية التعليمية وفقا لهذه الطريقة، إذ لا حول ولا قوة، وما عليه إلا تنفيذ أوامر المعلم والقيام بحركاته وربما لا يعرف أهدافها، ربما لا يجني ثمارها، ولا يجوز له الخروج عنها، ولا تقديم المشورة لمعلمه المغلوب على أمره.

وظائف المواد التعليمية

تعتمد الطريقة السمعية الشفهية تماما على المواد التعليمية المقررة في المنهج. "إن هذه المواد يتم اختيارها وفقا لقوانين وضوابط معينة، فالمفردات والعبارات والتراكيب وغيرها من عناصر اللغة، ينبغي أن تكون شائعة الاستعمال، ثم تقدم بتدرج من حيث درجات الشيوع والصعوبة والتعقيد، حيث يبدأ بالأكثر شيوعا، فالشائع ثم الأقل شيوعا، كما يبدأ بالمعلوم قبل المجهول، وبالسهل قبل الصعب، والبسيط قبل المعقد وهكذا. وتبنى مواد القراءة مرتبة وفق ترتيب الأنماط اللغوية التي تقدم من خلالها قواعد اللغة، ويتم التدريب عليها بأساليب محددة".[10] وكل عنصر من هذه العناصر ينبغي أن يفهم مسموعا، ثم يستعمل في الكلام، ثم يقرأ فيفهم معناه في سياقة قبل أن يستعمل في الكتابة.

ولا ريب في أن هذا الترتيب المعقد يدل أهمية المواد التعليمية في هذه الطريقة، وأن الخروج على الكتاب المقرر، أو على ترتيب –في نظر أصحاب هذه الطريقة- يقطع السلسلة، أو يحدث فجوة في البناء، قد تؤدي إلى انهيار البناء من أساسه[11].

تطبيقات صفية:

1. لا تعلم المفردات بوصفها كلمات معزولة وإنما يتم تدريسها من خلال السياق.
2. الطريقة تقديم المادة اللغوية الجديدة في شكل حوار.
3. يكون دور المتعلم إيجابيا (يتكلم في الصف أكثر من المعلم).
4. تعمل الطريقة على تنمية قدرات الطالب على حفظ الجمل الحوارية.
5. لا تهتم بشرح القواعد النحوية وتشجع الطلاب على استنتاج القاعدة المطلوبة من النص.
6. تعلم الأنماط البنائية بإستعمال أمثلة مكررة.
7. تقدم الأبنية النحوية في صورة أنماط بالترتيب.
8. لا تمانع الطريقة في استخدام الترجمة إذا اقتضت معطيات الموقف التعليمي ذلك.

تقويم الطريقة السمعية الشفهية:

إيجابيات الطريقة

أ. الاهتمام بالجانب الشفهي من اللغة.
ب. تعليم اللغة بدون ترجمة إلى اللغة الأم أو استعانة بلغة وسيطة.
ت. التفكير باللغة الهدف هو الهدف الأسمى لهذه الطريقة.
ث. تقديم قواعد اللغة بطريقة غير مباشرة أمر مطلوب. هذا الذي جعل الطريقة سهلا.
ج. الترتيب الذي يتم به تدريس المهارات الأربع، الاستماع والكلام والقراءة ثم الكتابة، هذا ترتيب طبيعي لكسب الطفل لغته الأم.
ح. تهتم بالصحة اللغوية والنطق الصحيح للأصوات .
خ. التدرج في تقديم المواد و العناصر اللغوية، يعد خطوة جيدة.
د. معظم أهداف هذه الطريقة وأنشطتها مفهومة لدى المعلمين، ما يسهل عليهم تنفيذ خطواتها و أنشطتها، وتقويم أداء الطلاب.[12]

سلبيات الطريقة

أ. تحتاج لبذل جهد ووقت طويل.
ب. إهمال الفروق الفردية. وهذا ينطبق على معظم أنشطة الطريقة المفروضة على المعلم.
ت. يتطلب التدريس بهذه الطريقة معلمين ذوي آفاية عالية في اللغة الهدف.

ث. المبالغة في التمرينات والتدريبات وبخاصة تدريبات الأنماط، عادة ما تؤدي إلى نتائج عكسية.

الخاتمة:

أخيرا أعرض بعض النتائج التي توصل إليها هذا البحث:

1. لا توجد طريقة نموذجية لتدريس اللغة الثانية إذ لكل طريقة مزاياها وقصورها.
2. إن اللغة هي ما يتحدث بها بالفعل و ليس ما ينبغي أن يتحدثوا به.
3. الطريقة السمعية الشفهية هي تلك التي تهتم بالكلام، كما تركز الطريقة أيضا على تدريس القواعد بصورة غير مباشر.
4. صعوبات تدريس اللغة الثانية تتمحور حول اتباع الطريقة التقليدية العادية. الطريقة السمعية الشفهية تقصر هذه الصعوبات.
5. الطريقة السمعية الشفهية فعالة لترقية إنجاز تدريس الكلام.

ومن هنا نرجو من مدرسي اللغة الأجنبية أن يستخدموا هذه الطريقة الناجحة بدلا من الطرق التقليدية الأخرى.

المراجع والمصادر

1 محمد كامل الناقة، **تعليم اللغة البنيوعربية للناطقين باللغة اخرى أسسه-مداخله-طرق تدرىسه**،(مكة المكرمة :جامعة أم القري، 1405 ه)، ص:46

2 عبد الله، دكتور عمر الصديق، **تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها** (المملكة العربية السعودية: الدار العالمي للنشر والتوزيع، 2008م)، ص 31

3 عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، *النظرات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية*، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2002م، ص. 1420هـ، ص. 53-57.

4 عبد الله، دكتور عمر الصديق، **تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها** ، المرجع السابق، ص 39

5 طعيمة، رشدي، **تعليم العربية لغير الناطقين بها** ،(الرباط :إيسيسكو، 1989 م)ص: 383

6 العصيلي، عبد العزيز. **أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى**، (المملكة العربية السعودية: جامعة الملك سعود، 2008م)، ص 319، 320.

7 الخولي ، محمد على ، **أساليب تدريس اللغة العربية**، ط3، (الرياض: الحقوق محفوظة للمؤلف، 1982م) ص: 23

8 Bloomfield L, Outline guide for the practical study of foreign language, (Bultimore: Linguistic Society of America,1942), p-1

9 Diane Larsen-Freeman, Techniques and principles in language teaching, Oxford University Press, 1986, p-60.

10 الخولي ، محمد على ، **أساليب تدريس اللغة العربية**، ص: 23

11 د. عبد العزيز إبراهيم العصيلي، **طرائق تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى**، (رياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2002م)، ص-104

12 رشدي أحمد طعيمة، **تعليم العربية لغير الناطقين بها**، المرجع السابق، ص: 111-115